المراقبة وأثرها في سلوك الشباب

مِن خلال وصية النبي ﷺ " احَفظِ الله يحفظك"

إعداد الأستاذ الدكتور

حســـن كمـال حســن القصـبي

أستاذ الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر

المراقبة وأثرها في سلوك الشباب مِن خلال وصية النبي ﷺ "احَفظِ الله يحفظك"

حســـن كمـال حســن القصـبي

فسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني: hassanalqasabi.4@azhar.edu.eg

الملخـــص :

يهـدف هـذا البحـث إلـى إبـراز عنايـة الإسـلام واحتفائـه بمرحلـة الشـباب، حيـث جـاءت الآيـات القرآنيـة والتوجيهـات النبويـة التـي تلفـت الأنظـار إلـي أهميـة مرحلـة الشـباب إرشـادًا وتعليمًـا، ومـن هـذه التوجيهـات: التوجيـه النبـوي لشـاب مـن شـباب المسـلمين وهـو عبـد الله بـن عبـاس رضـي الله عنهمـا، حينمـا قـال لـه صـلى الله عليـه وسـلم : " يَـا غُـلَامُ إِنِّـي أُعَلِّمُـكَ كَلِمَـاتٍ احْفَـظْ اللهَ يَحْفَظْـكَ" حيـث تنـاول هـذا الحـديث الشـريف جوانـب الأخـلاق، والعبـادات، والمعـاملات، والعقيـدة والوسـائل الموصـلة إلـي رضـا الله عـز وجـل للنـاس عامـة والشـباب خاصـة، مـن خـلال هـذا التوجيـه النبـوي لشـاب مـن شـباب المسـلمين ، وسـنقف مـع الجملـة الأولـى فقـط (احفـظ الله يحفظـك) لبيـان أن المراقبـة هـي السـبيل إلـي حفـظ الله العبـد مـن كـل مـا هـو ضّـار، وقـد اتبعـت المـنهج الاسـتقرائي مـن خـلال أقـوال تتبـع العلمـاء في معنـي (احفـظ الله يحفظك) وأثر ذلك في استقامة العبد.

الكلمات المفتاحية : الشباب، حفظ الله ، الفتن، ابن عباس، الشهوات، التوجيه.

Monitoring and its impact on the behavior of young people through the Observation and its Impact upon the Behavior of Youth in the ligth of Prophet Muhammad's (Peac be upon him) Recommendation "Be mindful of Allah and He will protect you"

By: Prof / Hassan Kamal Hassan Al- Kassabi
Department of Osoul Al- Deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University
Email: hassanalqasabi.4@azhar.edu.eg

Abstract

This resarch draws attention to the the phase of youth as largely celebrated by Islam. A large number of Qur'anic verses and prophtic traditions emphasize the importance of such phase throughout guidance and instruction. This instruction includes the prophetic recommendation directed to one of the Muslim youth, namely Abdullah Ibn Abbas (May Allah be pleased with both of them) when prophet Muhammad (Peac be upon him) said "Young man, I shall teach you some words [of advice] : Be mindful of Allah, and Allah will protect you." This Hadith demonstrates some moral aspects, acts of worship, transactions, matters of faith and the ways leading to the attainment of Allah's pleasure with all people in general and youth in particular. Hence, this resarch studies this prophetic recommendation directed to one of the Muslim youth and it focuses on the first sentence only "Be mindful of Allah and Allah will protect you" to emphasize the fact that observation is the only way to safeguard the commandments of Allah and as a result, Allah will protect the worshipper from all that can be harmful. The researcher has followed the inductive approach through tracing the statements of the scholars related to the Hadith of "Be mindful of Allah" and the impact of this Hadith upon the moral integrity of the worshipper.

Keywords: youth, being mindful of Allah, temptations, Ibn Abbas, lusts, guidance

.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادِيَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)(١).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)(٢).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)(٣).

أما بعد

فمن المعلوم أن الشباب عماد حضارة الأمم، وسبيل نهضتها، والسواعد التي تبني عليها الحضارات، وهم آباء الغد، ورعاة الجيل الجديد، ولن تنال الأمة مكانتها إلا من خلال شباب تربوا على عقيدة صحيحة، وأخلاق حميدة، وسجايا نبيلة، كل ذلك انطلاقا من القرآن الكريم وسنة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم.

ولهذا عني الإسلام بهذه المرحلة العمرية عناية خاصة، وجاءت الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية تلفت الأنظار إلي أهمية مرحلة الشباب إرشادًا وتعليمًا، ووضع قواعد للتعامل مع هذه المرحلة منذ النشأة من حسن تعليم وتأديب وتوجيه، ثم الحث علي طلب العلم النافع وكيفية تكوين بيت وقواعد اختيار (الزوج والزوجة) والتعامل مع الآباء والأصهار وغير ذلك، خاصة في ظل هجمة شرسة

(١) ـ آل عمران : آية ١٠٢.

(٢) ـ النساء : آية١.

(٣) ـ الأحزاب : آية ٧٠، ٧١.

من وسائل اتصال حديثة ووسائل إعلام " مقروءة ومسموعة ومرئية " ، وهي تحمل في طياتها الغث والثمين، لذا خاطبهم النبيﷺ خطابا خاصًا بعد أن ناداهم (يا معشر الشباب.....)، وخص فترة الشباب بالسؤال عنها يوم القيامة خاصة من بين بقية مراحل العمر، ولا تتحقق الاستقامة إلا بالمراقبة، والمراقبة تتحقق بحفظ الله عز وجل بالمعنى المراد منها، والسؤال لله عز وجل، والاستعانة بالله عز وجل، واليقين في الله نفعا وضرا، عطاء ومنعا، ولذا تناول الحديث الذي بين أيدينا جوانب الأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والعقيدة والوسائل الموصلة إلي رضا الله عز وجل للناس عامة والشباب خاصة، من خلال هذا التوجيه النبوي لشاب من شباب المسلمين وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وسنقف مع الجملة الأولى فقط (احفظ الله يحفظك) لبيان أن المراقبة هي السبيل إلي حفظ الله العبد من كل ما هو ضّار.

أسباب اختيار الموضوع:

- التأكيد على أهمية مرحلة الشباب في عمر الإنسان، وأن الإسلام قد رسم طريق الاستقامة منذ الولادة مرورا بالنشأة، وتكوين الأسرة.
- يعلمنا الحديث كيف نتعامل مع سنن الله عز وجل، فالله عز وجل له سنن لا تتغير ولا تتبدل منها (احفظ الله يحفظك) (تعرف علي الله في الرخاء يعرفك في الشدة) (النصر مع الصبر).
- تصحيح المفاهيم الخاطئة في اعتقاد أن أحدًا بيده النفع والضر "وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ".
- الأساليب الوقائية لحفظ الشباب في أمورهم جميعا.
- التعامل بحكمة مع مرحلة الشباب لأنهم أكثر عرضة للإغراء والإغواء.

منهج البحث:

واتبعت المنهج الاستقرائي من خلال أقوال تتبع العلماء في معني (احفظ الله يحفظك) وأثر ذلك في استقامة العبد.

خطة البحث:

وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة:

أما المقدمة ففيها أهمية مرحلة الشباب في بناء الأمم والحضارات، وأسباب اختياري للموضوع، ومنهجي في البحث، وخطة البحث.

المطلب الأول: نص الحديث وأقوال العلماء.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معني "احفظ الله يحفظك".

المطلب الثالث: مجالات حفظ الله عز وجل.

المطلب الرابع: نموذج لحفظ العبد لله بالمراقبة وأثرها.

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم نتائج البحث.

والله أسال أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المطلب الأول

نص الحديث وأقوال العلماء فيه

قال الإمام الترمذي: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَـى أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا لَيْثُ بْنُ سَـعْدٍ وَابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ ح و حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَـعْدٍ حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْمَعْنَى وَاحِدٌ عَنْ حَنَشٍ الصَّـنْعَانِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَـأَلْتَ فَاسْـأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْـتَعَنْتَ فَاسْـتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ.

قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١)

وفي روايةِ غير الترمذي الإمام أحمد: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ، واعْلَم أَنّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».(٢)

أقوال العلماء في منزلة الحديث:

اهتم العلماء بهذا الحديث اهتمامًا بالغًا:

قال الإمام الصنعاني: حديث جليل أفرده بعض علماء الحنابلة بتصنيف مفرد(٣).

أفرده الإمام ابن قدامة بتصنيف مفرد اسمه: نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس.

جمع الحديث في رواية الإمام الترمذي سبع كلمات من القوانين والسنن الإلهية:

١-احفظ الله يحفظك ٢-احفظ الله تجده تجاهك ٣-إذا سألت فاسأل الله

---

(١) - سنن الترمذي: كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٥٦/٩رقم ٢٤٤٠

(٢) - أحمد في مسنده :٤/ ٤٠٩رقم٢٦٦٩

(٣) -سبل السلام: ٤/ ١٧٦.

٤-وإذا استعنت فاستعن بالله ٥- وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ٦-وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ٧-رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ

وزاد الإمام أحمد في روايته خمسا:

١-تَعَرَّفْ إِلَى الله فِي الرخَاء يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ، ٢-واعْلَم أَنّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، ٣-وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرَ، ٤-وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، ٥-وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

المطلب الثاني

أقوال العلماء في معني "احفظ الله يحفظك".

معني احفظ الله يحفظك:

قال الإمام الصـــنعاني: "احفظ الله" أي حدوده وعهوده وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده أن لا يتجاوزها ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه، فيدخل في ذلك فعل الواجبات كلها وترك المنهيات كلها وقال تعالى: {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ}[1] وقال تعالي {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ}[2] فســر العلماء الحفيظ بالحافظ لأوامر الله، وفســر بالحفظ لذنوبه حتى يرجع منها فأمره صــلى الله عليه وســلم بحفظ الله يدخل فيه كل ما ذكر وتفاصــيلها واســعة، وقوله تجده أمامك وفي اللفظ الآخر يحفظك والمعنى متقارب أي تجده أمامك بالحفظ لك من شــرور الدارين جزاء وفاقا من باب وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم، يحفظه في دنياه عن غشــيان الذنوب، وعن كل أمر مرهوب، ويحفظ ذريته من بعده كما قال تعالى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا}[3]

فقوله: (احفظ الله) هذا هو حفظ العبد لله ســبحانه وتعالى، والجزاء من جنس العمل، فمقابله: (يحفظك)، كما قال الله: { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ }[4]، يحفظونه من كل ســوء يخشــى منه، ولولا هؤلاء الحفظة المعقبات لتخطفتهم الجن، ولاجتالتهم الشــياطين عن الأرض، فقوله: (يحفظك) أي: حفظ أمن، وهناك حفظ أعظم منه، فإذا حفظت الله في حقه، وفي أسمائه وصــفاته، وفي أوامره ونواهيه؛ حفظك أن تهدم ذلك، وحفظك من أن تقع في الســوء، وحفظك من أن تحيد عن الطريق، وحفظك على الجادة الســوية، وحفظك على الصــراط المســتقيم، وحفظك أن

(١) – سورة التوبة: آية ١١٢

(٢) – سورة ق: آية ٣٢.

(٣) – سبل السلام : ٤/ ١٧٦.

(٤) – سورة الرعد: آية ١١.

تتلاعب بك الشياطين، وحفظك أن تميل بك الأهواء، وحفظك من وساوس النفس، وحفظك من كل سوء لا ترضاه، فيعاملك بالمثل؛ فإذا حفظت الله في ذاته حفظك في بدنك وفي ذاتك، وإذا حفظت الله في أوامره ونواهيه حفظك في سلوكك، وحفظك عن المعاصي، مثل يوسف عليه السلام في ذلك الموقف الرهيب عندما غلقت سيدته الأبواب كلها وقالت: { هَيْتَ لَكَ }[1]، أي موقف أشد حرجًا من ذلك؟! وهو في بيتها محكوم عليه، وهي سيدة الموقف وملكته، فماذا كان الموقف؟! حفظ الله فحفظه، قال الله: { لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ }[2]، والله هو الذي كشف له هذا البرهان، وكانت رؤيته لبرهان ربه هي سبب الوقاية والحفظ عن أن يقع فيما يراد منه.[3]

(احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ) فهنا أمره بأنْ يحفظ الله، ورتّب عليه أن الله جل وعلا يحفظه، وحِفْظُ العبد ربه جل وعلا المراد منه أن يحفَظه في حقوقه جل وعلا، وحقوق الله جل جلاله نوعان: حقوق واجبة، وحقوق مستحبة، فحفظ العبد ربه يعني أنْ يمتثل (اِحْفَظِ الله) أن يأتي بالحقوق الواجبة، والحقوق المستحبة -ونعبِّر بالحقوق تجوزا بالمقابلة، يعني الحقوق الواجبة والمستحبة- فمن أتى بالواجبات والمستحبات فقد حفِظ الله جل وعلا؛ لأنه يكون من السابقين بالخيرات، والمقتصد أيضا قد حفِظ الله جل وعلا إذ امتثل الأمر الواجب، وانتهى عن المُحَرَّم.

• فأدنى درجات حفظ الله جل وعلا أن يحفظ الله سبحانه وتعالى بعد إتيانه بالتوحيد بامتثال الأمر، واجتناب النهي.

• والدّرجة التي بعدها المستحبات، هذه يتنوع فيها الناس، وتتفاوت درجاتهم.[4]

كيف يحفظ الله عبده:

حفظ الله جل وعلا للعبد على درجتين أيضا:

---

(١) - سورة يوسف: آية ٢٣.

(٢) - سورة يوسف: آية ٢٤.

(٣) - شرح الأربعين النووية: ١/ ٦٩.

(٤) - شرح رياض الصالحين: ١/ ٧٢.

• أما الأولى فهو أن يحفظه في دنياه، أن يحفظ له مصـــالحه في بدنه بأن يصـــححه، وفي رزقه بأن يعطيه حاجته، أو أن يوسـع عليه في رزقه، وفي أهله بأن يحفظ له أهله وولده، وأنواع الحفظ لمصـالح العبد في الدنيا، فكل ما للعبد فيه مصـــلحة في الدنيا فإنه موعود بأنْ تحفظ له إذا حفظ الله جل وعلا بأداء حقوق الله جل جلاله واجتنابه ما حَرّم.

• والدرجة الثانية من حفظ الله جل وعلا للعبد، وهي أعظم الدرجتين وأرفعهما وأبلغهما عند أهل الإيمان، وفي قلوب أهل العرفان، هي أن يحفظ الله جل وعلا العبد في دينه، بأن يسلم له دينه بإخلاء قلبه من تأثير الشـــبهات فيه، وإخلاء الجوارح من تأثير الشـــهوات فيها، وأن يكون القلب معلَّقا بالرب جل وعلا، وأن يكون أُنســـه بالله، ورغبه في الله، وإنابته إليه، وخلوته المحبوبة بالله جلّ جلاله، كما جاء في حديث الوَليّ المعروف، الذي رواه البخاري في الصحيح وغيره أيضا، قال صلي الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَـيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْـتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِـي بِهَا وَإِنْ سَـأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْـتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[١]

فحفظ الله جل وعلا العبد في الدين هذا أعظم المطالب، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يدعو الله كثيرا أن يُحفَظَ من الفتن وأن يحفظه الله (جل وعلا) من تقليب قلبه، «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[٢] «يَا مُصَـرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ»[٣] ونحو ذلك، وكان كثيرا ما يقسـم «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»[٤]، فالعبد أعظم المطالب التي يحرص عليها أن يسلم له دينُه.

(١) – البخاري في صحيحه: كِتَاب الرِّقَاقِ- بَاب التَّوَاضُعِ رقم ٦٢٢٠.

(٢) – الترمذي في سننه: كِتَاب الْوَصَايَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ رقم٢٠٦٦.

(٣) – النسائي في سننه الكبري: كتاب عمل اليوم والليلة – ما يقول إذا رفع رأسه إلى السماء رقم ١٠١٣٦

(٤) – البخاري في صحيحه: كِتَاب الْقَدَرِ- بَاب{ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } رقم٦١٢٧.

ماذا إذا لم يحفظك الله عز وجل:

إذا لم يحفظك الله عز وجل تركك لنفسك فقد يُبتلي العبد بخلل في دينه، وشبهات تطرأ عليه لتفريطه في بعض ما يجب أنْ يُحفظ اللهُ جل وعلا فيه؛ فلهذا العبد إذا حصل له إخلال في الدين، فإنّه قد أخل بحفظ الله (جل وعلا)، وقد يعاقب بأن يُجعل غافلا، وقد يُعاقَب بحرمانه البصيرة في العلم، وقد يُعاقب بأنْ تأتيه الشبهة ولا يحسن كيف يتعامل معها، ولا كيف يدفعها، وقد يُعاقب بأنه تأتيه الشبهة فتتمكن منه، كما قال جل وعلا "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ"(١)، وكما قال الله عز وجل "نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ"(٢)، وكما قال جل وعلا "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ"(٣)، وكما قال جل وعلا "إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ "(٤)، وهكذا في آيات أخر دلت على أن العبد قد يخذل، وخذلانه في أمر الدين هو أعظم الخذلان، ولهذا ينبغي للعبد أن يحرص تمام الحرص على أن يحفظ الله جل وعلا في أمره سبحانه، وإن فاته الامتثال فلا يفته الاستغفار، والإنابة واعتقاد الحق، وعدم التردد، والسرعة بإتباع السيئة بالحسنة لعلها تُمحى.

لهذا فإن حفظ الله جل وعلا للعبد بأن يكون الحفظ في الدين أعظم من أن يحفظ في أمر دنياه، ولهذا في قول الله جل وعلا في سورة المائدة { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ -وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمْ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }(٥)، قال جل وعلا(فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، قوله (وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا

(١) – سورة الصف : آية ٥

(٢) – سورة التوبة : آية ٦٧.

(٣) – سورة آل عمران : آية ٧.

(٤) – سورة الأعراف : آية ١٥٥.

(٥) – سورة المائدة: آية ١٣-١٤.

ذُكِّرُوا بِهِ) يعني تركوا نصـيبا مما أُمروا به، تركوه عن عمد وعن علم، فلما علموه تركوه عن بصـيرة فعوقبوا بالفرقة، (فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، وهذا من أنواع العقوبات التي يبتلي الله جل وعلا بها العباد، ويعاقب بها المؤمنين؛ حيث يعاقبهم بالفرقة؛ لأنهم تركوا ما أوجب الله جل وعلا عليهم من مقتضـى العلم، وهذا نوع من أنواع ترك حفظ الله جل وعلا للعبد، فالعبد بحاجة أن يحفَظَه الله سبحانه وتعالى بتوفيقه له، ومعيته له، وتسديده إياه.

حفظ الله جل وعلا للعبد في الدين، أو في الدنيا أيضا راجع إلى معية الله سبحانه وتعالى، والمراد بها المعية الخاصة التي مقتضاها التوفيق والإلهام والتسديد والنصر والإعانة.

قال (اِحْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) يعني احفظ الله على نحو ما وصـفنا تجده دائما على ما طلبت، تجده دائما قريبا منك، يعطيك ما سـألت، كما ذكرتُ لك في حديث الوَليّ «ولئن سـألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه».[1]

(١) - شرح الأربعين النووية لابن عثيمين: ١/ ٧٠.

المطلب الثالث

مجالات حفظ الله عز وجل.

أبواب حفظ العبد لله عز وجل تشـمل جميع مناحي الحياة من عبادات، ومعاملات، وأخلاق، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

أولا : حفظ الله عز وجل في العبادات:

من أهم أبواب الحفظ أن العبد يحفظ الله (عز وجل) فيما توجه إليه من ربه سـبحانه من العبادات والمعاملات، وكل ذلك تشريع من الله، فمثلاً فرض الله تعالي على العباد الصلوات كما قال سبحانه: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } [البقرة:٤٣]، فالواجب على العبد في الصلاة أن يحفظها كما قال الله: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى } [البقرة:٢٣٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: (خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ)(١) ، فالصلاة من العبادات، وقس عليها غيرها.

وقال الله تعالي كما في الحديث القدسي: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)(٢) وجاء في الحديث: (الصَّوْمُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا)(٣) والجُنة: ما يقي الإنسان، ويجنه من الأعداء، وتكون وقاية بينه وبين الآخرين، فإذا خرّق هذه الجُنة؛ توجهت إليه السهام من تلك الخروق، فالجُنة كانت من الخير وفعل الخير، وهو مزقها بأفعال الشر.

وفي الزكاة قال سبحانه وتعالى: { لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى }(٤)، وقال سبحانه: { قَوْلٌ

(١) – أبو داود في سننه: كِتَاب الصَّلَاةِ – بَاب فِيمَنْ لَمْ يُوتِرْ رقم ١٢١٠.

(٢) – البخاري في صحيحه: كِتَاب الصَّوْمِ –بَاب هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شُتِمَ رقم ١٧٧١.

(٣) – النسائي في سننه: كِتَاب الصِّيَامِ– باب ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ فِي فَضْلِ الصَّائِمِ رقم ٢٢٠١.

(٤) – سورة البقرة : آية ٢٦٤.

مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى }[1]، فالذي أَتبَعَ الصدقة بالمن، وأساء في إعطاء الزكاة، هل حفظها بل ضـيعها وأبطلها بما أتبعها من المن على المسـكين الذي دفعها إليه، ولماذا تمن عليه؟ هل وُلدت ومعك هذا المال؟ هل هو حق لك من أجدادك وآبائك؟ المال مال الله، وجعله الله وديعة في يدك، وهو قادر أن يأخذه منك ويسـوقه إلى غيرك، ويأخذ من غيرك ويسـوقه إليك، وإنما هو ابتلاء وامتحان.

والحج كذلك يحفظ في نيته وقصده، وفي أعماله، فيقيم المناسك، ويعظم شعائر الله وغير ذلك.

فكل العبادات حِفظُها أداؤها كما أوجب الله سـبحانه وتعالى، فمن حج من مال حلال، وزاد حلال، فإذا وضـع رجله في الغرز، وقال: لبيك اللهم لبيك! قيل له: لبيك وسـعديك، حجك مبرور، وذنبك مغفور.

وإن حج بمال حرام وزاد حرام، فوضع رجله في الغرز، وقال: لبيك، قيل له: لا لبيك ولا سعديك، ارجع مأزوراً لا مأجوراً، ما الفرق بين هذا وهذا؟ هذا ماله حلال كما أوجب الله، وهذا ماله حرام مما نهى الله، فكيف يأتي بيت الله بما حرم الله؟ فكأنه يجاهر بالمعصـية، ويتحدى الله في بيته بماله من الحرام.[2]

ثانيا: حفظ الله عز وجل في المعاملات:

المعاملات جانب عظيم في حياة الناس فلا يخلو الأمر من بيع وشـراء، وقضـاء مصـالح مشـتركة، وإعطاء حق، ورد أمانة، ونصـرة مظلوم وغير ذلك من المعاملات اليومية التي تُسـيّر الحياة، وحفظ الله (عز وجل) بمراقبته في إعطاء الحقوق فمن باع فلم يغش في سـلعته ولم يدلس فيها، ومن اشـتري فحرص على إعطاء البائع حقه، فإنهما بذلك قد حفظا الله في معاملاتهما، فيحفظهما الله بالبركة في بيعهما.

(١) – سورة البقرة آية ٢٦٣.

(٢) – شرح الأربعين النووية عطية محمد سالم ٩/ ٤٣

ثالثا: حفظ الله عز وجل في الأخلاق:

مكارم الأخلاق أساس بعثة النبي صلي الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وحفظ الله عز وجل في جانب الأخلاق أن تطبق الأخلاق تطبيقا عمليا، فتُحسن إلى الخلق جميعا، وتُظهر ذلك في معاملاتك في بيتك وشارعك وعملك وبين جيرانك وأنسابك وأصهارك، حتى إلي الحيوانات والأمثلة من السنة النبوية أكثر من أن تُحصي، ويكفيك أن تتمثل بأخلاق النبي صلي الله عليه وسلم.

رابعا: حفظ الله بامتثال الأوامر:

جاءت أوامر الله عز وجل بكل نفع للبشرية، تجلب الخير والسعادة للإنسان، والخالق جلا وعلا أعلم بما يصلح البلاد والعباد، فما من أمر إلا وفيه نفع يقيني للعباد، فحفظ الله تعالي في أوامره أن تلتزم بكل ما أمر الله به فتهدأ النفس، ويطمئن القلب خاصة في مرحلة الشباب.

خامسا: حفظ الله باجتناب المعاصي

وهكذا من حفظ الله ترك المحرمات والمعاصي، فلا يقدم عليها عمداً، بخلاف من زلت به قدمه، والإنسان غير معصوم، وبعدما تزل به القدم في المعصية، يشعر بذنوبه فيقوم فينفض الغبار عنه، ويغسل درنه بتوبة واستغفار، فهذا عبد الله حقـًا.[1].

(١) - شرح الأربعين النووية: ١٠/ ٣٣.

المطلب الرابع

نموذج لحفظ العبد ربَّه بالمراقبة وأثرها.

يظهر حفظ الله عز وجل للعبد بصورة واضحة جزاء لما قدم في قصة الثلاثة النفر الذين آواهم المبيت إلى غار.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ قَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللهُ فَرَأَوْا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ فَطَلَبْتُ مِنْهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى أَتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً فَفَرَجَ وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللهَ فَقُلْتُ اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرُعَاتِهَا فَخُذْ فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخُذْ فَأَخَذَهُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللهُ.(١)

المتأمل في متن الحديث يجد أن هؤلاء الثلاث لما حفظوا الله عز وجل حفظهم الله بالتفريج عنهم:

(١) - البخاري في صحيحه: كِتَاب الْبُيُوعِ - بَاب إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا لِغَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَرَضِيَ ٧/ ٤٥١ رقم ٢٠٦٣

الأول: فقد حفظ الله تعالي في أوامره ببر الوالدين، فما كان منه أن بقي طوال الليل والإناء علي يده لم تطب نفســه أن يقدم نفسَــه أو أولادهَ علي أبويه، وأما الثاني: فقد حفظ الله (عز وجل) بالامتناع عن المحرمات وضرب مثلا عظيما في العفة مع ما كان فيه من صراع نفسي في ميله القلبي، ولكنه آثر حفظ الله عز وجل فحفظه الله تعالى، وأما الثالث: فحفظ الله عز وجل بخلق الأمانة، حيث نمّى جقَّ الأجير ولم يمتنع عن إعطائه حقه كاملا حين طلبه.

فجمع الحديث ثلاث حالات: واحدة اجتماعية في بر الوالدين، وواحدة أخلاقية في العفة عن المرأة، وواحدة اقتصــادية فيما يتعلق بالأجير، فكأنه جمع أطراف العلاقة بين العبد وبين ربه، وبين العبد وبين خلقه عز وجل.

ويظهر حفظ الله عز وجل في قصة يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت، فنبي الله يونس عليه الصلاة والسلام كما قال الله عنه: { فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[1]، فيونس عليه السلام كان كثير التسبيح قبل أن يأتي إلى البحر، فلما ألقي في البحر، والتقمه الحوت، تداركه الله بسبب تسبيحه من قبل.[2]

(١) – سورة الصافات :١٤١– ١٤٤.

(٢) – شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: ١/ ٧٠.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده على نعمه وأشكره على فضله، وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد :

فقد ظهر لي من خلال هذا البحث عدة نتائج ألا وهي :

١ -أهمية مرحلة الشباب في بناء الأمم والحضارات.

٢ – لله عز وجل ســـنن وقوانين من بينها: من أراد أن يســـتجلب نعمة عليه أن يقدمها، فمن أراد أن يحفظه الله عليه أن يحفظ الله.

٣–حفظ الله عز وجل يشمل حدوده وعهوده وامتثال ما جاء عن الله عز وجل.

٤ – حفظ الله عز وجل يشمل جميع مجالات الحياة (عبادات – معاملات – أخلاق – أوامر – نواهي).

٤ – الجزاء من جنس العمل.

٥ – عظم الأثر المترتب علي عدم حفظ الله عز وجل للعبد.

٦ – حفظ الله جل وعلا للعبد في الدين أعظم المطالب، وما ينبغي أن يحرص عليه كل مسلم.

٧– وسائل حفظ الله عز وجل للعبد كثيرة ومتعددة، ويجب علي كل مسلم الحرص عليها.

فهرس المراجع

- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ)
- سبل السلام محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : ١١٨٢هـ)
- سنن أبى داود لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ت٢٧٥ه ـ ط دار إحياء التراث العربى
- سنن الترمذي لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت٢٩٧ـ ط دار الكتب العلمية
- السنن الكبرى لأبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ت ٤٥٨ه ـ دار المعرفة
- شرح الأربعين النووية عطية بن محمد سالم
- شرح رياض الصالحين محمد بن صالح بن محمد العثيمين
- المسند للإمام أحمد بن حنبل ـ ط دار الكتب العلمية

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخـــص ٢٦١

المقدمة ٢٦٣

المطلب الأول: نص الحديث وأقوال العلماء فيه ٢٦٦

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معني "احفظ الله يحفظك". ٢٦٨

المطلب الثالث:مجالات حفظ الله عز وجل. ٢٧٣

المطلب الرابع: نموذج لحفظ العبد رَبَّه بالمراقبة وأثرها. ٢٧٦

الخاتمـــــة ٢٧٨

فهرس المراجع ٢٧٩

فهرس الموضوعات ٢٨٠